دراسات ومقالات

الثورتان المصرية والتونسية

رشيد الخالدي

قبل كل شيء هذه لحظة فرص جديدة في العالم العربي، وفي الشرق الأوسط برمته. لم نشهد لحظة كهذه منذ زمن بعيد. فجأة، العقبات التي بدت في وقت مضى لا تقهر، تصبح قابلة للتذليل. والأنظمة الاستبدادية الراسخة في العالم العربي على مدار جيلين كاملين تبدو فجأة قابلة للعطب. وقد تهاوى من بينها اثنان من أكثرها سطوة ـ في تونس ومصر ـ أمام أعيننا في أسابيع قليلة.

الحكّام الطاعنون في السن، الذين حكموا الكثير من هذه البلدان، تتجلى حقيقة شيخوختهم هذه الأيام. لم تكن الشقة بعيدة في يوم من الأيام بين الحكّام والغالبية العظمى من أبناء شعوبهم، الذين وُلدوا بعدهم بأربعين، وخمسين، وستين عاماً، كما هي الآن.

بين ليلة وضحاها تذوب أوضاع اجتماعية وسياسية تجمّدت في الزمن، على نار الهبات الشعبية، التي اندلعت في البلدات والمدن، بداية في تونس، ثم في

رشيد الخالدي، كاتب وأكاديمي فلسطيني يقيم في الولايات المتحدة

القاهرة، وتنتشر الآن في بلدان عربية أخرى. ومن حسن الحظ أننا نعيش ما يمكن أن يمثّل لحظة تاريخية في العالم، حيث يختفي ما كان ذات يوم حقائق ثابتة، وتظهر إمكانيات وقوى جديدة.

أجهزة الإعلام الغربية نفسها، ممثلة التيار الرئيس، التي تنقل في العادة صوراً عن منطقة تكاد لا تكون مأهولة إلا بمتعصبين ملتحين وغاضبين «يكرهون حريتنا»، بدأت تعرض صوراً لأناس عاديين يطالبون، سلمياً، بمطالب عادلة على نحو بيّن: الحرية، والعدالة الاجتماعية، والمحاسبة، وحكم القانون، والديمقراطية.

تبيّن، في نهاية الأمر، أن لدى الشباب العرب آمال ومُثل، لا تختلف عمّا لدى نظرائهم الذين أسهموا في التحوّلات الديمقراطية، في أوروبا الشرقية، وأميركا اللاتينية والجنوبية، وجنوب شرقي وشرق آسيا.

كانت هذه الأصوات الشابة مفاجأة، فقط، لمن ضللتهم وسائل الإعلام تلك من خلال تركيزها المُفرط على الأصولية الإسلامية والإرهاب، كلما وجهت أنظارها إلى الشرق الأوسط. وبالتالي هذه لحظة ذات أهمية فائقة ليس في العالم العربي وحسب، ولكن من ناحية الطريقة التي ينظر بها الآخرون إلى العرب، أيضاً. أناس افتري عليهم بطريقة منهجية ودائمة ـ ربما أكثر من أي شعب آخر في العقود الأخيرة ـ يُصوّرون للمرّة الأولى بطريقة جديدة وإيجابية إلى حد بعيد.

بيد أن المهام الأكثر صعوبة ما تزال في الانتظار. لم يكن من السهل الإطاحة بمستبد يعيش في عالم آخر، وعائلته الجشعة، سواء في مصر أو تونس، لكن بناء نظام ديمقراطي فعّال سيكون أشد صعوبة. وأشد صعوبة، أيضاً، ضمان ألا يهيمن على النظام الديمقراطي ـ في حال نشوء نظام كهذا ـ أصحاب النفوذ المستمد من ثرواتهم، وهم كثر في العالم العربي، وأصحاب مصالح قوية راسخة مثل العسكر.

أخيراً، ثمة مهمة تثير الرهبة، ستقع على عاتق كل نظام ديمقراطي شعبي يسعى لتحقيق العدالة الاجتماعية، والنمو الاقتصادي السريع، المطلوب لتوفير فرص عمل جيدة، وإسكان مقبول، وتعليم يتسم بالكفاءة، وبنية تحتية ملحة أكثر من غيرها، وفرص متساوية.

هذه هي الأشياء نفسها التي فشلت الأنظمة القديمة في توفيرها، والتي تسبب غيابها في ثورة الشباب، التي تجتاح المنطقة. وكل فشل في تحقيق أحد هذه المهام الثقيلة قد يؤدي إلى احتمال عودة قوى الرجعية والقمع. كما يمكن أن يطلق اتجاهات أقلوية عنيفة ومتطرفة، تزدهر في ظروف الفوضى والفلتان، شبيهة بتلك التي خلقها غزو أميركا واحتلالها للعراق، وما صاحبه من تدمير للدولة العراقية.

ويجب ألا ننسى، أبداً، أن هذا هو الشرق الأوسط، المنطقة المشتهاة الأكثر في العالم، والأكثر اختراقاً من جانب المصالح الأجنبية، وبالتالي الأكثر هشاشة ـ كما كانت على مدار تاريخها ـ إزاء التدخلات الخارجية التي قد تحرف أو تشوّه النتائج.

ومع ذلك، ما حدث في تونس والقاهرة فتح آفاقاً ظلت مغلقة لوقت طويل. طاقة، وديناميةٍ، وذكاء، الجيل الشاب في العالم العربي، أطلقت من عقالها، بعد تعطيلها على يد نظام احتقر الشباب وطموحاتهم، وركّز السلطة بالدرجة الأولى في أيدي جيل يفوقهم عمراً بكثير.

ظاهرياً، يبدو وكأن الشباب في العالم العربي استمدوا من مصدر غامض الثقة بالنفس والشجاعة، وهما ما جعل أنظمة بوليسية مخيفة، بدت ذات يوم لا تقهر، ترتجف وتفقد أعصابها أمامهم. مراقبة الشباب المصريين والتونسيين يتكلمون على شاشات الفضائيات العربية فتحت الأعين. كانوا واضحين، وأذكياء، ومصممين.

وقد حازت «الجزيرة» على كثير من السمعة نتيجة تلقيها ونشرها أخبار الأحداث في العالم العربي، خاصة في تونس، حيث كانت متقدمة على وسائل الإعلام الأخرى، في إدراك أهمية ما يجري، وهذا ما حدث بالنسبة لمصر أيضاً. ومع ذلك، لعبت محطات التلفزيون العربية الأخرى دوراً رئيساً، بما فيها المحطات المصرية، بمجرد تلاشي عامل الخوف من القمع، وتفشي روح الثورة.

ذُهلت مصر كلها، ومعها معظم العالم، من المقابلة التي أجرتها محطة دريم التلفزيونية المصرية مع وائل غنيم فور إطلاق سراحه، بعدما مكث ١٢ يوما في المعتقل، خاصة بحكم ما تجلى فيها من مزيج الوضوح والعقلانية من ناحية، والعاطفة من ناحية ثانية. ومن الواضح أن كونه مديراً تنفيذياً لغوغل ترك أثراً طيباً لدى

المشاهدين الغربيين بشكل خاص.

بيد أن شباناً آخرين من مصر، لم يسمع بهم أحد خارجها من قبل، ربما عدا قلة قليلة، أثروا حتى بشكل أكبر، مثل المُدوّن أسامة محفوظ، أحد قادة الحركة الثورية، الذي أسهمت مدوّنته المُقنعة والقوية، التي تبث مشاهد مصوّرة على الإنترنت، في التحريض على الاحتجاج يوم الخامس والعشرين من يناير. وكذلك شأن نوّراه نجم، الصحفية والناشطة وإحدى قيادات الحركة [ابنة أحمد فؤاد نجم أحد أكثر الشعراء الشعبيين المصريين شهرة في الستينيات والسبعينيات، والنسوية المعروفة صافيناز كاظم].

وقد أعطت مقابلة مع نوّراه على شاشة قناة دريم حساً واضحاً بمدى الوضوح الاستراتيجي لدى قادة الاحتجاجات ـ رغم إصرارها في المقابلة على أنها ليست قيادية قائلة: «لا نحتاج قادة، لا نحتاج زعماء، هذه المرحلة من تاريخنا انتهت». وفي ردها على سؤال حول ما ستفعله الحركة في حال عدم التزام الجيش بوعده، أجابت بطريقة موضوعية ومقنعة تماماً: «نعرف طريق العودة إلى الميدان [ميدان التحرير]. هؤلاء الشابات، والمئات من الشابات والشبّان الآخرين تمكنوا خلال ١٨ يوماً من إحداث حركة أطاحت بفرعون، مكث في الحكم ٣٠ عاماً.

بدا ذات يوم وكأن البلدان العربية ستبقى، إلى ما لا نهاية، مستثناة من موجة التحرر من الأنظمة الشمولية، التي اجتاحت مناطق أخرى من العالم، على مدار العقود القليلة الماضية.

فجأة، أثبت الجيل العربي الشاب بأنه لا يختلف عن غيره. أظهروا أنهم كانوا يتابعون الأحداث في كل مكان آخر، ويراقبون بدقة نماذج الآخرين خارج منطقتهم. استفادوا كثيراً من أخطاء الجيل الأكبر سناً، وهم أكثر ذكاء بكثير بالمعنى التكنولوجي من الدولة البوليسية، ذات الموارد غير المحدودة، ومعداتها المتطوّرة، وتدريباتها المكثفة في أفضل المنشآت الأميركية والأوروبية.

النقطة الأخيرة تثير أسئلة محرجة: لماذا استُخدمت قنابل الغاز المسيّلة للدموع الأميركية الصنع بغزارة ضد متظاهرين مسالمين في تونس والقاهرة، كما استُخدمت

بانتظام على مدار سنوات ضد الفلسطينيين، وعدد أقل من الإسرائيليين والنشطاء الأجانب، المتظاهرين في قرية بلعين في الضفة الغربية؟

لماذا كان المأجورون، وشبيحة بن علي ومبارك، على علاقة طيبة بأجهزة الاستخبارات في الولايات المتحدة، وفرنسا، وبلدان أوروبية أخرى؟ ولماذا كان دعم «الاستقرار» (الذي يعني في الواقع دعم القمع، والفساد، وإحباط المطالب الشعبية، وتخريب الديمقراطية) السياسة الرئيسة من ناحية عملية، وبالفعل الوحيدة، للولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي في معظم أقطار العالم العربي؟

قد تكون هذه أسئلة لا يحب صنّاع السياسة في واشنطن، وباريس، ولندن، وبون، الإجابة عليها. ولكنها توجد في أذهان الشبان النابهين في العالم العربي، الذين يتابعون أجهزة الإعلام الغربية والدولية، ويدركون حقيقة ما يجري في بقية أنحاء العالم، وهم أكثر إدراكاً في هذه الشأن من أولئك الذين تسلطوا على بلادهم بالقمع لفترة طويلة من الزمن.

وكبقية الناس خارج عالم الغرب، منذ عهد بالمرستون وودرو ويلسون، فإن هذا الجيل من الشبّان العرب أصبح مدركاً للفجوة القائمة، منذ زمن طويل، بين المُثل المعلنة للديمقراطيات الغربية الكبرى، وسياستها الواقعية المثيرة للشكوك. ونتيجة وجود هذا الوعي سيكون مفيداً ومرحباً به إحجام المسؤولين الأميركيين والأوروبيين عن توجيه النصائح سواء إلى الناس في تونس، أو مصر، الذين أحدثوا بالفعل تغييراً ثورياً مدهشاً، وكذلك إلى بقية الناس في العالم العربي الذين يحاولون القيام بالشيء نفسه.

من الواضح أن الثوريين الشبّان أفضل معرفة بما ينبغي عمله لتحقيق الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، من أولئك الذين كانوا إلى ما قبل وقت قصير أقرب أصدقاء الدكتاتور في تونس والقاهرة، وما تزال صلتهم حميمة ببقية المستبدين العرب.

الثورتان التونسية والمصرية تطرحان العديد من الأسئلة. بعد التحرر من الكولونيالية الغربية، أدت تجارب فاشلة للشعبوية الراديكالية، والقومية العربية، والتنمية الاقتصادية الموجهة من قبل الدولة في الخمسينيات والستينيات، إلى ركود

وقمع في ظل دكتاتوريات وملكيات مُطلقة. على امتداد العقود التي تلت الستينيات سيطرت أنظمة جامدة شمولية على كل البلدان العربية، ما عدا استثناءات جزئية في لبنان والكويت.

وقد بدا ذلك العهد المظلم بلا نهاية، عاش في ظله أغلب العرب الذين وُلدوا في السبعينيات وما بعدها. وأغلب المواطنين في هذه الشعوب الفتية ـ حيث يشكل من هم دون سن الثلاثين ثلثي عدد السكّان ـ لم يعرفوا زمناً آخر غير خضوعهم لحكم ضباط سابقين طعنوا في السن، أو حكام وراثيين مطلقي الصلاحية، أو من جانب ورثتهم المختارين.

أحد أسوأ سمات هذه الأنظمة العربية الشمولية، المكوّنة من مركبات مختلفة، ما أبداه الحكّام من احتقار لشعوبهم. كان الشعب في نظرهم غير ناضج بما فيه الكفاية لاتخاذ القرارات، واختيار ممثليه، أو توزيع الفوائض المجتمعية، أو المعونة الخارجية.

هذه الأشياء، وأقل منها بكثير، صُنعت لهم من جانب أشخاص يعتقدون بأنهم أفضل منهم، أي من جانب الحكّام. وكل مَنْ تحدى الخطوط المرسومة من جانب أصحاب السلطة، سواء أكان الحاكم، أم رجل الشرطة في الشارع، عرّض نفسه لخطر العقاب بوحشية لا تعرف حدوداً.

وقد كان هذا درس خالد سعيد، المدوّن الشاب من الإسكندرية، الذي صوّر مشاهد بالفيديو عن فساد الشرطة في حزيران (يونيو) ٢٠١٠، وضُرب حتى الموت في وضح النهار على يد رجال الشرطة أنفسهم الذين فضحهم من قبل [المفارقة أن صفحة «كلنا خالد سعيد» على الفيس بوك، كانت واحدة من مسببات اندلاع الثورة المصرية]. هذه التعديات المستمرة على الكرامة العامة لكل مواطن عربي تقريباً، وهذا التأكيد المتواصل على عدم جدارته، كانت هي الأشياء التي ذوّتها الناس، ونجمت عنها كراهية للذات، وتفشي الضيق الاجتماعي.

وقد عبّرت هذه الأشياء عن نفسها، ضمن أمور أخرى، في التوترات الطائفية، التحرّش الجنسي المتواصل بالنساء، الميول الإجرامية، تعاطي المخدرات، الفظاظة الفائقة، وغياب الروح العامة. وهذه الأشياء كلها أسهمت، بدورها، في تعزيز وجهة

النظرة السلبية التي ينظر من خلالها أهل السلطة إلى مواطنيهم.

ولم يحدث إلا بعدما أطلقت شرارة بائع شاب للخضروات، أشعل النار في نفسه، في بلدة سيدي بوزيد التونسية، سلسلة متلاحقة من ردات الفعل، أن انتظم الناس بداية في تونس، ثم في مصر، وأدركوا مدى قدرتهم على مجابهة الأنظمة القائمة، كما أصبح في الإمكان تذليل بعض تلك الرضّات العميقة التي ولدتها عقود من القمع.

أفادت تقارير مختلفة، مثلاً، أن الناس في مظاهرات مصر الاحتجاجية، جلبوا الطعام لبعضهم في ميدان التحرير، وأن التحرشات الجنسية اختفت بشكل ملحوظ، وأن المسلمين حرسوا المسيحيين وقت أداء صلاتهم، والعكس صحيح، وأن الشباب المصريين تطوعوا لتنظيف الشوارع، وجمع النفايات.

لم يكن ما حدث تحقيقاً لنبوءة ألفية، بل ببساطة مجابهة المتظاهرين لأولئك الذين سلبوهم الكرامة والحقوق، وهذا ما منح الناس في شوارع تونس والقاهرة، وعشرات من البلدات والمدن الأخرى، الإحساس بأنهم أسياد مصيرهم، وأنهم أصحاب كرامة، وليسوا مجرد أشخاص بائسين، وشبه مستعبدين، لدى سادتهم المتغطرسين، الذين يحكمونهم من الفيلات والقصور.

يصعب القول ما إذا كانت روح التحرر هذه قابلة للاستمرار، وما إذا كانت ثورات عربية أخرى ستُبقيها حيّة، أو حتى في حال بقائها ما إذا كانت كافية لتذليل المشاكل البنيوية الهائلة لبلد مثل مصر. لا يمكننا أن نعرف ما إذا كانت هذه الهبّات سترقى إلى تغيير حقيقي للنظام، وما إذا كان المصريون والتونسيون سينجحون في إنشاء أنظمة سياسية جديدة تماماً، أو أنهم سينتهون إلى مباركية وبن علية بلا مبارك وبن علي.

النخب في كلا البلدين، سواء نخبة الجيش القوية في مصر، أو الطبقات العليا الراسخة في البلدين، لن تتخلى بسهولة عن سلطتها، حتى إذا كانت مستعدة للتضحية ببن علي ومبارك، وبعض أقرب معاونيهم.

ومع ذلك، للمرّة الأولى، على مدى جيلين يوجد أمل لدى الناس في تونس

ومصر، يمكنهم أن يطمحوا إلى حياة أفضل، وكرامة أكثر، وسيطرة أكبر على شؤون حياتهم. اكتشف الشباب، في هذين البلدين، كيف يستغلون الامتعاض الشعبي، ويحوّلونه إلى قوة ضد الوضع القائم.

إنهم يعرفون طريق العودة إلى الشارع، إذا استدعى ذلك تباطؤ القائمين على الأمر في الفترة الانتقالية. هذه الروح، بدورها، ألهمت الناس في عديد من البلدان العربية، لمجابهة تفشي العجز واليأس، وكلاهما ضروري لبقاء الأنظمة الاستبدادية.

سؤال رئيس آخر: هل ما حدث في تونس ومصر يشير إلى بداية موجة ثورية حقيقية في العالم العربي. حتى الآن التظاهرات في البلدان العربية تعبير فعّال عن امتعاض عام من الأمر الواقع المتعفّن. وأصداء قوية للأحداث في تونس ومصر، التي ألقت عليها وسائل الإعلام ضوءا كاشفاً.

فعلى الرغم من أوجه الشبه بين الأنظمة، إلا أن تلك البلدان تختلف عن بعضها، وتختلف عن تونس ومصر. السكان في عدد منها، أقل تجانساً من ناحية ديمغرافية من مصر أو تونس، مع وجود انقسامات إثنية ودينية يمكن للحكام على الدوام استغلالها بطريقة فرّق تسد. وفي حالات بعينها ثمة ذكريات صراعات دموية هزت المجتمعات في وقت قريب، أو في زمن مضى، وهذا قد يؤدي إلى تردد الناس إزاء مسألة الاحتجاج.

مهما يكن من أمر، تبدو روح جديدة في كل أنحاء العالم العربي، ومن المؤكد أن روح الاحتجاج مُعدية، وكذلك مطلب الديمقراطية، بعد ما حدث في تونس ومصر. ويدهش الإنسان، من مجرد مشاهدة الفضائيات العربية، أو الاستماع إلى التقارير الإخبارية الإذاعية عن الاحتجاجات، كيف يتردد من المحيط إلى الخليج شعار «الشعب يريد إسقاط النظام» الذي أطلقه الثوار التونسيون أولاً، ثم كرره أشقاؤهم وشقيقاتهم في مصر.

مهما تكن المحصلة النهائية، هذه الأحداث برهان مثير جداً، ليس للتدليل على الطموحات المشتركة في الحرية والكرامة لجيل بأكمله من الشباب العرب وحسب، ولكن على وجود مجال عربي عام مشترك أيضاً. ورغم أن هذا يرجع بقدر كبير إلى

وسائل الإعلام الحديثة، بما فيها الفضائيات، من الخطأ التركيز بإفراط على خصائص التكنولوجيا. فهذا المجال العام المشترك وُجد في الماضي، معتمداً على وسائل تكنولوجية سبقت، سواء أكانت المطبعة أم الراديو.

وقد فُهمت أهمية «الجزيرة» على نحو خاطئ. في بداية ظهور هذه القناة الفضائية كانت حاسمة في كسر احتكار الدولة لأنظمة البث، وفي إدخال عنصر المنافسة، مما أرغم حتى قناة «العربية» المملوكة للسعوديين، وقنوات أخرى، على تغطية قسط كبير من الأخبار ببساطة لتتفادى خسارة المشاهدين. وخلال الانتفاضة التونسية، ولاحقا خلال الأحداث في مصر، ثبّتت أمام شاشتها المشاهدين العرب في العالم العربي وخارجه. لكن النزعة الإسلامية المبطنة في تغطيتها للأحداث لا تعكس الاحتجاجات نفسها، ولا اتجاه جزء كبير من مشاهديها.

برزت هذه النزعة في تفضيلها المتواصل لحماس في سياق تغطية الأحداث الفلسطينية، وخلال الثورتين التونسية والمصرية في تغطيتها المكثفة لعودة الإسلامي التونسي راشد الغنوشي إلى تونس، وفي المكانة البارزة التي أفردتها للإسلاميين المصريين بعد سقوط نظام مبارك. وبالقدر نفسه أبرزت «الجزيرة» في المظاهرات الجزائرية يوم ١٣ شباط (فبراير) ٢٠١١، مشاركة أحد القادة الإسلاميين، على بلحاج، لكنها تغافلت عن حقيقة أن العديد من المشاركين في المظاهرة نعتوه «بالقاتل».

ما أود قوله إن «الجزيرة» تحظى بمتابعة المشاهدين العرب، بسبب تغطيتها المصوّرة الجريئة، والتي كثيراً ما تشد الانتباه، وليس بالضرورة بسبب الخط السياسي، الذي يسعى القائمون عليها لترويجه. فكما ظهر حتى الآن في تغطية القسم الأكبر من الانتفاضات العربية، لا وجود لنزعة إسلاموية بالذات لدى معظم المشاركين فيها، ولا في مطالبهم من أجل الكرامة، والحرية، والديمقراطية، والعدالة الاجتماعية.

المسألة الأخيرة التي تثيرها هذه الثورات العربية تتمثل في دور الولايات المتحدة، والشركاء الأوروبيين، في مساندة وضع الأمر الواقع، العربي المتعفّن، الذي يتهاوى في الوقت الحاضر على مرأى منها. الولايات المتحدة ممزقة دائما في سياستها الخارجية

في الشرق الأوسط بين مبادئها، بما فيها تأييد الديمقراطية، وبين مصالحها، بما فيها مساندة الطغاة، الذين يطيعون الأوامر دائماً. وفي حال عدم وجود رقابة فعّالة من جانب الجمهور الأميركي، فإن الدافع الثاني يطغى على السياسة الأميركية في الشرق الأوسط.

وفي الوقت الحاضر، بينما تنشر وسائل الإعلام الأميركية تحقيقات عن شخصيات عربية كارزمية شابة، تطيح بالطغاة، تطالب بالديمقراطية، وتنطق بإنكليزية مفهومة تماماً، فإن الجمهور يراقب، وواشنطن تستجيب بالتأييد الفاتر للانتقال الديمقراطي، ودعوة الحكّام العرب الآخرين، إلى ضبط النفس في قمع شعوبهم. ولا يملك الإنسان سوى التساؤل عمّا سيحدث عندما يتحوّل اهتمام الجمهور الأميركي عن الشرق الأوسط، وهذا ما سيحدث بالتأكيد.

مهما يكن من أمر، اللحظة الجديدة في الشرق الأوسط ستجعل من ممارسة السياسة القديمة، كما جرت العادة، أمراً أصعب. وحتى إذا بقي الطغاة والملوك مطلقو الصلاحيات في الحكم، فقد تبلّغ هؤلاء الرسالة، بأنهم لن يتمكنوا في سياستهم، بعد اليوم، من تجاهل شعوبهم، كما فعلوا دائما، سواء أكان ذلك يعني تبعية خانعة وراء واشنطن في حربها الباردة ضد إيران، أم في حماية إسرائيل من الضغوط بينما تقوم باستعمار الأراضي الفلسطينية، وترسيخ احتلالها. هذه السياسة التي لا تحظى بأدنى قدر من القبول الشعبي، والتي تتبعها الحكومات العربية، لم يعد من الممكن الدفاع عنها.

يبقى الكثير مما ينبغي التقرير بشأنه في العالم العربي، ووجود دور حقيقي للرأي العام في صناعة السياسة الخارجية أمر يقرره المستقبل. ومع ذلك، أصبح اليوم الذي يتجاهل فيه حاكم عربي، الرأي العام المحلي والعربي، في إقامة سلام مع إسرائيل، من مخلفات الماضي.

ربما تبقى معاهدات السلام القائمة ما بين مصر والأردن وإسرائيل، حتى في حال حدوث تحوّلات ديمقراطية حقيقية في العالم العربي برمته. لكن أحداً في واشنطن لن يتمكن بعد اليوم من الاعتماد على التواطؤ والخنوع إزاء إسرائيل والولايات المتحدة،

وهي إحدى سمات النظام العربي الراكد، الذي يثور ضده الناس في مختلف أنحاء المنطقة.

ما الذي سيحل محل هذا النظام أمر غير معلوم. فهذا سيتحدد إلى حد كبير في تلك الشوارع، ومقاهي الإنترنت، وقاعات الاتحادات النقابية، ومكاتب الجرائد، والتجمعات النسوية، وبيوت الملايين من الشباب العرب، الذين أعلنوا على الملأ بأنهم لن يتسامحوا بعد اليوم، إزاء الاحتقار، وعدم الاحترام، الذي أظهرته حكوماتهم لهم، منذ جاءوا إلى هذا الدنيا. وقد حذرونا، كلنا: «الشعب يريد إسقاط النظام».